دراسات الأدب المعاصر، السنة التاسعة، خريف ۱۳۹۶، العدد الخامس والثلاثون: صص ۱۰۳- ۱۱۵

جبران؛ أديب الفن والحياة فی كتبه وأدبه

فرهاد براتی *
آسیه قوامی **

تاریخ الوصول: ۹۶/۳/۱۹
تاریخ القبول: ۹۶/۶/۷

الملخّص

من أهم خصائص *جبران* الأدبية أنّه لم يقف كما وقف القدماء اللغويين عند التقعّر اللفظی والإغراب الفكری وتحنيط أساليب الكتابة فی قوالب جامدة لا ترى إلى التطور والتحرّر سبيلا. وإنما كان أديبا مجدّدا وصاحب مدرسة فی الأدب المعاصر؛ وتوحّد بين الفن والحياة فی إطار من الرمزية والخيال والعاطفة إلى موسيقی لفظية حالمة وتنميقات بلاغية جميلة وأوساط لوّنت أدبه على رغم الحشو والإستطراد فی كتاباته وأدبه، ملوّن بألوان من الإبداع والتجديد وهو ثائر فی فكره وفی عاطفته وأدبه الإنسانی الرفيع. فكتب كتباً متنوعة فی حياته تبحث شتّى مجال الحياة كـ«العواصف» و«النبی» و«رمل وزبد» و«الأجنحة المتكسّرة» وكتب كثيرة أخرى تحكی كل منها موضوعاً جميلا. و*جبران* ابن بُشرِی وراقه من قريته وداعتها وطيب معدن أهلها وراقه أيضا أن يراها تائهة وراء الروابی والطلال لأنّه شاء للوطن أن يعيش فی ضميرها، فكاتبنا قد طوّف فی أرجاء العالم منذ أن كان فی الثانی عشر من عمره وعاد إلى وطنه فی الثامن والأربعين محمولاً على الألواح ولم تقف شهرته عند حدود لبنان والمشرق ولكنه اكتسب صيتاً عالميا.

الكلمات الدليلية: العواصف، الأجنحة المتكسّرة، جبران، رحمة، بطرس، ميخائيل نعيمة.

* أستاذ مساعد فی قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سلمان الفارسی، كازرون. fbarati58@gmail.com
** طالبة الدكتوراه فی فرع اللغة الفارسية وآدابها، جامعة سلمان الفارسی، كازرون. asieh.ghavami@gmail.com
الكاتب المسئول: فرهاد براتی

المقدمة

لقد تزوجت *كاملة ابنة الخورى اسطفان رحمة* وكان زواجها لم يطل وتوفى زوجها مخلفاً لها طفلا صغيرا يدعى *بطرس* وما لبثت كاملة أن تزوجت للمرة الثانية من *خليل جبران* أحد فلاحى بشرى، لعلها تنسى مرارة الترمّل وتخفف عن طفلها شقاء اليتيم فأنجبت من *خليل* ثلاثة اولاد صبى ولد فى السادس من كانون الأول عام ١٨٨٣ *جبران* وابنتان هما *مريانا* و*سلطانة*. ولكن *خليل جبران* كان يشكو ضيق اليد، فلا يكاد عمله فى أراضى إقطاعى الشمال يسدّ رمقه ورمق عائلته مما دفعه إلى الإنغماس فى شرب الخمر كى لا يواجه مصاعب الحياة. فما كان من الزوجة أن هاجرت إلى أميركا وفى أحياء بوسطن. ويقول *ميخائيل نعيمة* قائلا: «مررت يوما فكدت أضع منديلاً على أنفى لشدة الروائح المتصاعدة من كوم الأقذار الملقاة فى الشوارع وفيها قشور البطيخ والليمون والموز وفضلات المطابخ السابحة فى بحيرات صغيرة من السوائل القائمة وللذباب فيها أعراس ومهرجانات و للكلاب فيها صيد وفير»(نعيمه، ١٩٩١: ۴٨).

وفى الرابعة عشرة من عمره تعرّف *جبران* إلى سيدة اميركية فوقف على ما تعانيه من آلام الحياة الزوجية وراح يعالج فى نفسه شرائع البشر وقوانينهم(ن.م: ن.ص).

وفى عام ١٨٩٨ عاد *جبران* إلى وطنه لبنان وقد شدت الرغبةإلى الشعر فى اللغة العربية وإلى الإطلاع على ثقافة بنى قومه فدخل مدرسةالحكمة واهتم باتقان اللغة العربية والفرنسية وحاول التروّض على الكتابة والتمرّس بأصول البيان، واطّلع على الإنجيل المقدس ونهج البلاغة والقرآن الكريم. فكان له ما أراد وأخذ يكتب على أساس التراث القديم فكان لذلک أثر عظيم فى أسلوبه وتفكره والدليل الذى أدّى إلى تمرّده الغاضب والقيام على النظام الاقطاعى والأثرياء هو انتماءحبيبته *حلا ظاهر* إلى طبقة الأغنياء دون تلاقيها مع حبيبها الذى ينتمى إلى أب فلاح. وفى عام ١٩٠٢ عاد *جبران* إلى بوسطن محطّم القلب جريح العاطفة وسرعان ما توجه بصحبة إحدى العائلات الأمريكية لزيارة بعض البلدان فى اوروبا والشرق وتعرف هناک إلى كثير من الرسّامين وبعض عائلات بوسطن الأرستقراطية الغنية وأصبح صديقاً لبعضهم وفى مقدمتهم الشاعرة الجميلة *جوزفين بيبودى*(جبران، ١٩٩٢: ١۶). وبعد صداقته لهذه الفنانة الشاعرة كان *جبران* خلالها مصدر الهام لعدد من قصائدها كما تركت أثرها البارز فى فصول «دمعة

وابتسامة»(ن.م: ن.ص). ومن ثم تعرّف على المرأة الأخرى *ماری هاسکل* وکانت امرأة متميزة ذات شخصية قوية وذکاء فذّ وثقافة واسعة ورئيسة مدرسة خاصة للبنات فی بوسطن بعد أن زارت معرض *جبران* وفی سنة ۱۹۰۵ نشر کتابه الأول «الموسيقی».

وفی تموز ۱۹۰۸ أرسلته *ماری هاسکل* على نفقتها إلى باريس ليطوّر فنه ولم تتزوج منه هاسکل لأنها شعرت أن هذا الزواج سيعرقل نتاجه الفنی(يونک، ۱۹۳۱: ۶۴). وهو قد اعترف فی إحدى رسائله بأنه أصبح فناناً بفضل *ماری هاسکل*، وحين عمت المجاعة لبنان سنة ۱۹۱۶ اشترک فی حملة لجمع التبرعات لوطنه وکتب قصيدته النثرية الشهيرة «مات أهلی» وبدأ اسم *جبران* يذيع فی الأوساط الفنية والأدبية والاجتماعية فی نيويورک وخارجها، وحين تزوجت *ماری هاسکل* سنة ۱۹۲۶ أرسل إليها *جبران* «يسوع ابن انسان»(۱۹۲۷) و«آلهة الأرض» سنة ۱۹۳۰ و«التائه»(۱۹۳۶م) لتصحّح مخطوطاته قبل أن تطبع وحين کتب النسخة الأخيرة لوصيته فی أذار ۱۹۳۰ ترک *لماری* لوحاته ومخطوطاته ورسائله وکتبه وکلّ ما فی محترفه فيما ترک لأخته من مال وسهم ولمسقط رأسه بشری من حقوق کتبه(ن.م: ۳۸۸- ۳۹۵).

وکانت السنوات الثمانی الباقية من حياته سنوات شهرة عالمية ونفدت الطبعة الأولى من کتاب «النبی» فی شهر واحد، وأصبح الکتاب أکثر مبيعاً فی الولايات المتحدة وطبعت کتبه مراراً ومراراً ومن ثم أخيراً راسل الأديبة *می زيادة* التی أعجبت به إعجابا شديدا.

وبعد ترک أخته وهی وحيدة مع أخاها وقف متسائلاً متخلفا أمام ظواهر الوجود من أين يولد الإنسان وما الحياة فی شعره *کالخيام*:

ما الحياة بالهناء — إنما العيش نزوع ومرام
ما الممات بالغناء — إنما الموت قنوط وسقام
ما النعيم بالثواب — إنما الجنة بالقلب السليم
ما الجمال بالوجود — إنما الحسن شعاع للقلوب

(البدائع والظرائف، ۱۹۹۷: ۱۹۳)

ولقد اتصل بکبار الأدباء الرومنطقيين فی فرنسا من أمثال *هوجو* و*موسيه* و*شاتوبريان* و*لامرتين* ولا ريب فی أن إقامته بباريس کانت *لجبران* عهداً ذهبياً فسح أمامه أرحب

الأجواء لتفتّح العبقرية ونضوج التفكير وهكذا أسّس فی لبنان مع إخوانه الأدباء «الرابطة القلمية» سنة ١٩٢٠ منهم *میخائیل نعیمه* و*ایلیا أبوماضی* و*نسیب عریضه* و*رشید أیوب* و*عبدالمسیح الحداد* وغیرهم من الأدباء البارزین، وانتهت حیاة هذا الإنسان الفنان والشاعر الفیلسوف سنة ١٩٣١ فی مستشفی سان فنست بنیویورک فی العاشر من شهر نیسان ولکن الکلمة الأخیرة کانت هی: «قد ولدت وعشت وتألمت لأقول کلمة واحدة حیة مجنحة ولکنی لم أصبر ولما صرت قادراً علی لفظ أول حرف من کلمتی وجدتنی ملقی علی ظهری وفی فمی حجر صلد لا بأس! کلمتی لم تزل فی قلبی»(الأب شیخو، ١٩٩٣: ٥٠٢). وهو کان مؤمناً بعقیدة تناسخ الأرواح وتقمّصها ویقول هامساً فی أذن *میزیادة* التی طالما أحبّ روحها وأحبّت روحه لم أقل کلمتی ولم یظهر من هذه الشعلة غیر الدخان.

خلفیة البحث

إن البحث حول *جبران* هو عمیق اللفظ والمعنی جدا وکتبت حول خواطره وکتبه کتب کثیرة وجملات ورسائل وأُقیمت حفلات کثیرة فی لبنان والغرب کما قال الرئیس الأمریکی *روزفلت* حوله أمام ألوف الأمریکیین عن صاحب کتاب «الأرواح المتمردة» وهو *جبران*: «هو أول عاطفة تجتاح الغرب بعد عاطفة یسوع الناصری»(جبران، مقدمة الأرواح المتمردة: ٢٥).

فمن الکتب التی کتبت حوله «المؤلفات الإنجلیزیة العربیة» *للدکتورة نازک سابایارد* و«المؤلفات العربیة» لهذه الکاتبة، و«جبران ورسائله» *لمیخائیل نعیمه* ومقالات کثیرة فی المجلات والجرائد.

البحث والکتابة عن مؤلفات جبران

إن کثیراً من الناشرین عمدوا إلی المتاجرة بصورة مؤسفة إذ عمدوا إلی اقتطاع مقاطع من هذا الکتاب الجبرانی ومقاطع من کتب أخری، وضموها إلی مجموعةأخری وأطلقوا علیها اسما جدیدا ولکن *میخائیل نعیمه* أصدر «المجموعة الکاملة لمؤلفات جبران» خدمةً له وللأدب المعاصر ومنها:

العواصف: وهو يضم مجموعة مقالات وأقاصيص ثائرة تموج بالصخب إزاء المجتمع العالمی عامة والمجتمع الشرقی بوجه خاص ويدور حول محور واحد يستلهم فكرة البقاء للأفضل وللأقوی، ويدعو الناس إلی أن ينبذوا العبوديات ويطيحوا بالفساد والتقاليد ويثوروا علی ضلال العادات البالية. وهناک مقالات كثيرة يدور البحث حولها فی العواصف منها حفار القبور، العبودية، المليک السجين، يسوع المصلوب، علی باب الهيكل، أيها الليل، الجنية الساحرة، قبل الإنتحار، يا بنی أُمی، نحن وأنتم، أبناء الآلهة وأحفاد القرود، بين ليل وصبح، المخدرات والمباضع، مات أهلی، الشيطان، الصلبان، الشاعر البعلبكی، ما وراء الرداء، الشاعر، الكلام، وأخری من المقالات.

والشاعر والكاتب شاعر ذاتی ويشغل نفسه بآلام وجوده ولا يسمع إلا صوتها ولا يسير إلا مع أشواقها. *فجبران* هو الشبح الغريب الذی لا حرفة له إلا حفر القبور وهو القائل بلسان المنتحر «الحياة إمرأة عاهرة ولكنها جميلة ومن عهرها يكره جمالها وهو الأشباح الثلاثةعلی شاطئ البحر المنادون بثالوثية الحياة والحب وما يولّده والتمرّد وما يوجده والحرية وما تنميه، وهو يوسف الفخری فی العاصفة وتشابهاً بينهما فما هم إلا أسماء مختلفة لشخص واحد هو *جبران خليل جبران*»(نعيمه، ۱۹۹۱: ۲۳۴).

فأولی العبوديات التی يندّد بها *جبران* هی عبودية الإسم الذی يفرض علينا فرضا عند الولادة حتی إذا سمّی المرء عبدالله قال *جبران* ما أكثر عبيدالله وما أعظم متاعب الله بعبيده: «وإن بلية الأنباء فی هبات الآباء ومن لا يحرم نفسه من عطايا آبائه وأجداده يظل عبد الأموات حتی يغير من الأموات»(العواصف، ۱۹۹۷: ۲۵- ۳۰).

النبی: وهو أول كتاب صدر فی اللغة الإنكليزية وذلک عام ۱۹۲۳ م فكان له من الدوی فی الولايات المتحدة الأميركية وما أحدثه «النبی» هو المسحة الشرقية الصوفية الرومانطيقية التی تخلف فصول الكتاب، ولقد كان له اجتماع لدی الكتاب والنقاد علی أن النبی هو ذروة الإنتاج الأدبی الجبرانی وكل ما سبق له هو تمهيد له وكل ما لحق له خلاصةً له. ويقول الناقد الشهير الأميركی *برزباين*: «لو كنت من المؤمنين برجوع المسيح إلی الأرض لأيقنت أنه عاد فی شخص *جبران خليل جبران* وذلک أثر قراءة هذا الناقد لكتابه «النبی» وبما قالته جريدة «النيويورک هرلد» إذ وصفته بأنه «نابغة ستين مليوناً من الشرقيين المتكلمين بالعربية»(صيداح، ۱۹۶۴: ۲۵۲).

ويقول *ميخائيل* فی مقال بعنوان «جبران فی ذروته»: «وأنا إذ أمرّ بنتاج *جبران* فی مقالة «الموسيقی» الذی افتتح به حياته وحتی كتابه «التائه» لا أتردّد لحظة فی القول بأن «النبی» كان الذروة الأعلی فی ذلک النتاج، وأن كلّ ما كتبه *جبران* قبل «النبی» وبعده، لم يكن غير درجات إلی تلک الذروة»(جبران فی ذروته، مجلة الرسالة، العدد السابع، تموز ١٩٥٥).

«أما شهرة «النبی» فمردّها إلی مضمون الكتاب وأسلوبه، والمضمون إجتماعی مثالی وتأملی فلسفی معاً، ولا تثقله قيود المنطق و يحبّبه إلی القارئ أسلوبه الشعری الصافی ويستهل *جبران* الكتاب بمدمة تصور ألم النبی أو *المصطفی(ص)* لمفارقة أهل مدينة أورفليس وحين إجتمع السكان لتوديعه طلبوا منه أن يعطيهم بعض حكمته «فكانت فصول الكتاب الستة والعشرون مواعظ فی كل ما انكشف له من شؤون الفسحة التی تمتدّ ما بين الولادة والموت كالحبّ والزواج والأولاد والعطاء والشرب والعمل والتجارة والقانون»(جبران، ١٩٩٢: ٢٩). وأما رسالة «النبی» بالدرجة الأولی رسالة المتصوف المؤمن بوحدة الوجود وبأن الحب جوهر الحياة وأساس الوجود فضلا عن ايمان *جبران* بالتقمص.

ويقول *جبران* فی إحدی نصوصه فی «النبی» يخاطب أهل أورفليس: «يا أهل اورفليس الحبّ يجمعكم إليه كما يجمع الحاصد السنابل ثم يدرسكم ليعريكم ثمّ يطحنكم طحنا. ثم يعجنكم عجنا ومن بعدها يتعهدكم بناره المقدسة. كما يجعل منكم خبزاً مقدساً لوليمة إله السريةالمقدسة(نعيمة، ١٩٩١: ٣٦). وأيضا يقول: «المحبة لا تعطی إلا نفسها ولا تأخذ إلا من نفسها، المحبة لا تملک شيئاً ولا تريد أن يملكها أحد، لأنّ المحبة مكتفية بالمحبة أما أنت إذا أحببت فلا تقل إن الله فی قلبی بل قل بالأحری أنا فی قلب الله»(ن. م: ن. ص).

التأثير من كبار الأدب

ومن الأمثلة الأخری التی نأتی بها فی كتابه «النبی» تأثره *بالإمام علی(ع)* و*بزهير بن أبی سلمی* و*المتنبی* والإنجيل المقدس ومن أثره المتأثر *بالإمام علی(ع)* قوله: «السخاء ما كان ابتداءً فأما ما كان عن مسألة وسؤال فحياء وتذمم» ونظيره قول *جبران*: «جميل أن

تعطی من یسألک ما هو فی حاجة إلیک ولکن أجمل من ذلک أن نعطی من لا یسألک وأنت تصرف حاجته»(النبی، ۱۹۹۲: ۱۳۸).

ومنها قول *زهیر بن آبی سلمی* الشاعر الحکیم فی مدح *هرم بن سنان*:

تـــراه إذا مـــا جئتـــه مـــتهللاً کأنک تعطیه الذی أنـت سـائله

(أفرام البستانی، ۱۹۸۶، ج۱: ۹۳)

ومثیله قول *جبران* «إن من یفتح یدیه وقلبه للعطاء یکون فرحه بسعیه إلی من ینقل عطایاه والإهتداء إلیه منه بالعطاء نفسه»(جبران، النبی).

ومنه قول *أبی الطیب المتنبی*:

ومن ینفق الساعات فی جمع مالـه مخافـة فقـر فالـذی فعـل الفقـرُ

دیوان المتنبی

وقول *جبران*: «أوَ لیس الخوف من الحاجة هو الحاجة بعینها»(جبـران، النبـی)، ومنهـا قول الإنجیل المقدس: «إن الله یطلع شمسه علی الأشرار والصالحین ویمطـر علـی الأبـرار والظالمین»(إنجیل متی، الفصل الخامس: الآیة ۴۵).

وقریب من قول *جبران* بقوله: «وقد طالما سمعتک تقول متبجحاً إنی أحب أن أعطـی ولکنّ المستحقین فقط فهل نسیت یا صاح إن الأشجار فی بستانک لا تقول قولک ومثلهـا القطعان فی مراعیک»(جبران، النبی)، والخلاصة أن «النبـی» کتـاب تحـدی بـه *جبـران* النطاق الإقلیمی وشارف عالم الإنسان مخاطباً انسان العالم ومن هنا نعلـم قیمتـه الأدبیـة الکبری التی تجعله فی مصاف الآثار العالمیة الخالدة.

الأجنحة المتکسـرة: قصة قلبین ربطهمـا الحـبّ السـماوی برباطـه القدسـی وجعـل الحبیبة فیه تزفّ إلی غیر الحبیب فإذا الحب قربان تنحره الشهوات وتعصف بـه الأطمـاع. وأمّا سلمی کرامة أی حلا ظاهر التی أماتها *جبران* فی آخر الروایة حتی یستکمل المأساة؛ فمن الثابت یبین فی الکتاب أنها تزوجت رجلاً غیر *جبـران* حقـا ولکنهـا لـم تمـت قبـل الکاتب، بل کانت فی طلیعة الجاثیات حول نعشه لما نُقل رفاته إلی مقرّه الأخیر فـی دیـر مار سرکیس قرب بشری(صیدح، ۱۹۶۴: ۲۴۶).

أما نظرة *جبران* الحقیقیة إلی الدین فی کتابه «الأجنحة المتکسرة» یقول: «الدین هـو ما أنار القلب ومتی کان ضمیر جاری کنور الشمس حیاً نقیاً وقلبه کوردة تتفتّح فی الفجر

لتستقبل ندى السماء فلا فرق عندى إن ذكر بين الدراويش أو سجد مع اليسوعيين أو اغتسل فى نهر الكنج مع البوذيين. ولا ريب أن الجامعة البشرية قد استسلمت سبعين قرناً إلى الشرائع المتنوعة فلم تعد قادرة على إدراک معانى القواميس العلوية الأولية الخالدة وقد تعودت بصيرة الإنسان النظر إلى ضوء الشموع الضئيلة فلم تعد تستطيع أن تحدق إلى نور الشمس(جبران، ١٩٩٢: ٢٣٤). وأما صورة فارس كرامة التى عرفناها فى فصل «يد القضاء» «فهى صورة واحد من القليلين الذين يجيئون هذا العالم ويغادرونه قبل أن يلامسوا بالأذى نفس مخلوق وأحد اولئک الرجال الذين يكونون غالباً تعساء مظلومين، لأنهم يجهلون سبل الإحتيال التى تنقذهم من مكر الناس وخبثهم»(جبران،١٩٧٧: ١٧).

جبران والعواصف: وفى الحديث عن كتابه «العواصف» يقول *انطوان فازان*: «إذا كان أجمل ما فى *جبران* أنّه غرابة وأشمل ما فيه أنه محبة فأبقى ما فى *جبران* أنه عاصفة، الجمال يعيش والشمول يحيا على أنّهما مع التاريخ أما الذى يعنف الأيام لترقى ويخرج على الزمان ليبقى، فيحطم ما هو كائن لينصبّ ما يجب أن يكون هذا الرجل العاصفة هو أعنف من أن يسير برکاب التاريخ هو التاريخ. أن *جبران* وُلد ثورة وامتدّ فى الحياة ثورة وانتهى ثورة فلو جاءت الأيام وهى بعد فى هدأتها الأولى لكان أول من عصف بها وثار فهو عاصفة قبل العواصف(جبران فى العواصف، أنطوان فازان، تموز ١٩٥٥: ٤٥).

والواقع أن *جبران* فى العواصف يحاول أن يتأثر *بنيتشه* فيلسوف القوة الآلمانى الذى استلهم *هتلر* عندما حكم آلمانيا الكثير من مبادئه ولا سيما فى كتابه «هكذا تكلم زرادشت» وإن كان مدى تأثر الكاتب اللبنانى بالفيلسوف الآلمانى موضع خلاف، و يعتبر جبران أن *نيتشه* كان فى عالمه البشر مارداً بين أقزام. ويقول *ميخائيل نعيمه* فى كتابه: «وأية إرادة ارادته؟ أصلب من الصوان وأمضى من الفولاذ هى التى ابتدعت السوبرمان وهى التى اختلطت السبيل إليه وهى تقول لا إله إلا أنا الخالق والخليقة أنا القضاء والقدر وأنا المحجة والسبيل إلى المحجة، وأنا سأمضى بالإنسان إلى أبعد من الإنسان وسأرفضه فوق خيره و شره وسأحرره من كلّ دين ودينونة وفضيلة ورذيلة وكل ما يصانده فى سيره إلى ذاته الكبرى ولأجل ذلک أحطم مقاييس الناس وموازينهم وأعطيهم ما هو فوق كل المقاييس والموازين، أعطيهم السوبرمان»(نعيمه، ١٩٩١: ١٢٥).

الفروق بين جبران ونيتشه

إننا نری عبر الأفكار التی دعا إليها *نيتشه* الغربی من جهة و*جبران* الشرقی من جهة ثانية، رأی *جان كميد* الذی يعتبر أن *جبران* يختلف عن *نيتشه* فی جميع مظاهر التفكير إلا فی جمعها بين الدعوة إلی القوة من جهة والتصوف من جهة أخری، وأن الغرابة فی هذا المجال تتناول *نيتشه* أكثر مما تتناول *جبران* بكثير.

۱.فنيتشه اوروبی العقلية والتفكير

۲.كره الشرق واحتقر مظاهر الضعف فی الشرق وفی كل مكان

۳.أدخل مظاهر الصوفية الشرقية فی الفلسفة الأوروبية

۴.أثّر تأثيراً قويا فی المفكرين المتأخرين

ولكن من جهة أخری يتفق *جبران* و*نيتشه* فی التصوف حيث يظنّ أنهما يختلفان ولكن *جبران* كلف بالقوة علی طريقته وكلّف بها *نيتشه* علی طريقته، فنظر كلاهما إلی *المسيح* من خلال هذا الموقف وإذا *بنيتشه* يحارب *المسيح* رمز الضعف فی نظره لأن القوة كما يفهمها لا يعرفها *المسيح* وإذ *بجبران* يتعشقه إلی أبعد الحدود لأنه رأی فی شخصه ما يعتبره قوة وأية قوةٍ. وهكذا يتفق *جبران* و*نيتشه* علی الجمل أحياناً ويختلفان كلياً علی التفاصيل حتی ليضحی الإختلاف معاكسةً علی خطٍ مستقيم(جان كميد، ۱۹۵۵: ۱۵-۲۲).

وكتاب «العواصف» الذی يضم مجموعة مقالات وأقاصيص ثائرة تضج بالنقمة وتموج بالصخب إزاء المجتمع العالمی عامةً والمجتمع الشرقی بوجه خاص يدور حول محور واحد يستلهم فكرة الإبقاء للأفضل وللأقوی، ويدعو الناس جميعاً إلی أن ينبذوا العبوديات ويصيحوا بفساد التقاليد ويثوروا علی ضلال العادات البالية فی إطار من التوجيه الإجتماعی والتحليل النفسی المتعمق.

إن فی «العواصف» واحدة وثلاثين مقالة هی حفار القبور، العبودية، المليک السجين، يسوع المصلوب، علی باب الهيكل، أيها الليلة، الجنية الساحرة، قبل الإنتحار، يا بنی أمی، نحن وأنتم، أبناء الآلهة وأحفاد القرود، بين ليل وصباح، المخدرات والمباضع، السرجين المقضض، رؤيا، فی ظلام الليل، الأفراس المسوّسة، مساء العيد، الجبابرة، مات أهلی، الأمم وذواتها، فلسفة المنطق، معرفة الذات، العاصفة، الشيطان، الصلبان، الشاعر البعلبكی، السم

فی الدسم، ما وراء الرداء، البنفسجة الطموح، الشاعر، الكلام وطوائف المتكلمين. وهو تقسيم العبودية إلى أقسام متنوعة منها العبوديةالخرساء والعبودية الصماء والعبودية الشمطاء والعبودية الرقطاء والعبودية العوجاء والعبودية السوداء والعبودية الحدباء والعبودية الجرباء.

الخصائص الأدبية لجبران

من خلال المصنفات الأدبية التی بحثت عنها فی بطن الموضوع نری أن ثمة خصائص مميزة للفكر الجبرانی وللأسلوب الجبرانی، وهذه الخصائص المميزة تشترک جميعا فی صفة الجدةوالطرافة والبعد عن التقليد الأعمی الذی يحيل الأدب إلى قوالب محنطة وإلى ألغاز وأحاجی ما كان أغنى الفكر العربی عنها فی مختلف عصوره.

١.الروح الثائرةالمتمردة: إن أول ما يطالعک من أدب *جبران* هذه الروح الثائرة المتمردة فی مختلف جوانب مؤلفاته. *فجبران* الشرقی المنفتح علی تيارات الغرب، رفض تحجّر التقاليد والعادات الشرقية البالية التی تحول الإنسان وهو أشرف الموجودات إلى مطية أو ضحية من مطايا المجتمع وضحاياه كما رفض إغراق الغرب فی ماديته ومدنيته التی تمتس القبور ولا تعنی باللباب، فإذا الإنسان فی اطارها آلة من الآلات القائمة فی المصانع أو رقما من الأرقام المتناثرة فوق سجلات التجار.

٢.المعرفة بمواطن الشر والفساد: لم يكن *جبران* فی تمرده عشوائيا اعتباطاً وإنما كان علی بينة من مواطن الفساد فی المجتمع ولكنه لا يستطيع أن يحدّد الهدف. كان *جبران* يعرف أن مواطن الفساد والشر كثيرة فثمة فی المجتمع تجارٌ من كل نوع، تجار الشعائر والشعارات والإيمان الدينی والعطاء الفكری وفی المجتمع جهلةٌ أغبياء منهم رجال أعمالهم غرور العلم الناقص أو سدل الثراء المحدث غشاوةً علی أبصارهم وبصائرهم حتی يقول عن القرآن الكريم ﴿الهكم التكاثر ۝ حتى زرتم المقابر ۝ كلا سوف تعلمون﴾(التكاثر/ ١-٣). أو أقعدهم إرث النسب عن كل سعی وجدّ منهم نساء أُصبن بالإبتذال والإنحلال الخلفی فصارت القيم عندهن تبرّجاً تبختراً وتطيباً وتسابقاً إلى زيف المظاهر وربّما خيانةً للأزواج واستهتارا بكرامة الأبناء واستخفافاً بشرف الآباءكما يقول القرآن الكريم: ﴿قل أعوذ برب الفلق ۝ من شر ما خلق ۝ ومن شر النفاثات فی العقد﴾(الفلق/١-٣).

نتيجة البحث

إن *جبران* حينما انتقل سنة ۱۹۱۲ إلی نيويورک لم تقتصر صداقته علی الأدباء المهجريين أمثال *الريحانی* و*نعيمة* و*وليم کتسفليس* وغيرهم، وإنما اتصل بعدد کبير من الشعراء والأدباء الأمريکيين والأوروبيين تعرف أسماءهم من الرسائل التی تبادلها مع *مارى هاسکل* کما تلقی هذه الرسائل ضوءً علی الکتب التی قرأها وأثرت فيه ومن الخصائص التی ثارت فی نفسه هی:

أدب الفن والحياة: وعلی الإجمال يمکن القول أن من أهم خصائص *جبران* الأدبية أنه لم يقف کما وقف القدماء اللغويين عند التقعر اللفظی والإغراب الفکری وتخطيط أساليب الکتابة فی قوالب جامدة لا ترى إلی التطور والتحرر، وإنما کان أديبا مجددا وصاحب مدرسة فی الأدب المعاصر وتوحّد بين الفن والحياة فی إطار من الرمزية والخيال والعاطفة وإلی موسيقی لفظية حالمة وأوصاف قد لونت أدبه علی الرغم من الإستواء والحشو بألوان من الإبداع والتجديد وهو تأثر فی أدبه الإنسانی الرفيع.

الأصالة فی التفکير والکتابة: إنّ *جبران* يتميز بحرصه علی الأصالة فی التفکير والکتابة وفی سؤال وجهته إليه مجلة الهلال قائلا نعم عندنا شعراء وکلّ شرقی يستطيع أن يکون شاعراً فی حقله وفی بستانه وأمام نوله وفوق منبره، وکل شرقی يستطيع أن يعتق نفسه من لجن التقليد فيسير فی موکب الحياة ويستلم إلی روح الإبتکار فی روحه.

اللهجة النبوية: من خصائص *جبران* هذه اللهجة النبوية العالية التی تعتقد أنها تحمل أصداء مطالعات *جبران* الدينية ولا سيما فی کتابه «النبی» الذی يحمل خلاصة أفکار *جبران* البنّاءة المصلحة کقوله: «قد طالما أُخبرتم أن العمل لعنة والشغل نکبةٌ ومصيبة أما أنا فأقول لکم إنکم بالعمل تحققون جزءً من حلم الأرض البعيدة جزءً خصّص لکم عند ميلاد ذلک الحلم، فإذا واظبتم علی العمل النافع تفتحون قلوبکم بالحقيقة لمحبة الحياة(جبران، النبی: ۴۰).

وکقوله أيضاً: «طالما سمعتکم تتخاطبون فيما بينکم عمّن يقترف إثماًکأنّه ليس منکم بل غريبٌ عنکم و دخيل فيما بينکم»(نفس المصدر: ۵۶).

الخصائص التعبيرية: ومن خصائصه التعبيرية اعتماد الوصف وأساليب التشبيه والکناية والطباق والإستعارة فضلاً عن تلک الرمزية التی تخلّف الکثير من کتاباته وتطبعها بطابع

خاص يجعلها فريدة الطراز بين كتابات معاصريه من كتّاب العرب، ومن أمثلته على التشبيه البليغ: «أنا خيوط فضية تطرحنى الآلهة من الأعالى فتأخذنى الطبيعة وتنمق بى الأودية، أنا لآلى جميلة نثرت من تاج عشتروت»(جبران، المؤلفات الكاملة: أغنية المطر).

التشخيص فى أسلوبه: ومن الخصائص التى تميز أسلوب *جبران* على صعيد البلاغة والبيان اعتماده التشخيص وتسريب الروح إلى الأشياء الجامدة ويقول فى «الأجنحة المتكسرة»: «وأخرجنا من الحديقة وسرنا بين الأشجار شاعرين بأصابع النسيم الخفية تلامس وجهنا وقامات الأزهار والأعشاب الكدنة تتمايل بين أقدامنا حتى إذا ما بلغنا شجرة الياسمين جلسنا صامتين على ذلک المقعد الخشبى نسمع تنفس الطبيعة النائمة(جبران، الأجنحة المتكسرة: ٣٤).

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

القرآن الکریم.

نهج البلاغة.

انجیل مرقس و یوحنا.

الأب شیخو. ۱۹۹۳م، **المجانی الحدیثة**، بإدارة فؤاد افرام البستانی، بیروت: دار المشرق.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۲م، **المؤلفات الکاملة لجبران خلیل جبران**، مقدمة، دراسة وتحلیل: نازک سابایارد، بیروت: بحسون.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۷م، **الأجنحة المتکسرة**، اشراف میخائیل مسعود، بیروت: دار الکتاب العربی.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۷م، **البدائع والظرائف**، اشراف میخائیل مسعود، بیروت: دار الکتاب العربی.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۷م، **العواصف**، اشراف میخائیل مسعود، بیروت: دار الکتاب العربی.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۷م، **الموسیقی**، بیروت: دار الکتاب العربی.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۷م، **دمعة وابتسامة**، بیروت: دار الکتاب العربی.

جبران، جبران خلیل. ۱۹۹۷م، **رمل وزبد**، بیروت: دار الکتاب العربی.

زهیر بن أبی سلمی. ۱۹۸۲م، **دیوان**، تحقیق فخرالدین قباوه، بیروت: دار الآفاق.

صیدح، جورج. ۱۹۶۴م، **أدبنا وأدباؤنا**، بیروت: دار الکتاب العربی.

کمید، جان. ۱۹۵۵م، **موضوع جبران فی حقیقته**، لا مک: لا نا.

المتنبی. ۱۹۹۷م، **دیوان**، تحقیق کمال طالب، بیروت: دار الکتب العلمیه.

نعیمه، میخائیل. ۱۹۹۱م، **الغربال**، بیروت: دار الکتب العربیة.

یونک، باربارا. ۱۹۳۱م، **جبران هذا الرجل اللبنانی**، نیویورک: بدون ناشر.

المقالات

الشرتونی، اسعد. تموز ۱۹۵۵م، «**جبران والأرواح المتمردة**»، مجلة الرسالة، العدد السابع، عدد الخاص به جبران.

فازان، أنطوان. تموز ۱۹۵۵م، «**جبران فی العواصف**»، مجلة الرسالة، العدد السابع، عدد الخاص به جبران.

نعیمه، میخائیل. تموز ۱۹۵۵م، «**جبران فی ذروته**»، مجلة الرسالة، العدد السابع، عدد الخاص به جبران.